

العلم النافع

د. أحمد بن محمد رفيع

عضو هيئة التدريس بجامعة الملك عبد العزيز



شبكة
الألوكة
www.alukah.net



ح) دار طيبة الخضراء، ١٤٤٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
رفيع، أحمد بن محمد بن حسين
العلم النافع. / أحمد بن محمد بن حسين رفيع. -

مكة المكرمة، ١٤٤٤هـ

٢٦ ص: ١٧×١٢ سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٣٥٠-٩٧-٣

١. الإسلام والعلم

أ. العنوان

١٤٤٤ / ٥٢٢٤

ديوي ٢١٩,٧

رقم الإيداع: ١٤٤٤ / ٥٢٢٤

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٣٥٠-٩٧-٣

حقوق الطبع محفوظة

يمكنكم طلب الكتب

عبر متجرتنا الإلكترونية



حيثما كنت يصلك طلبك

الطبعة الأولى

(١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م)



دار طيبة الخضراء
للنشر والتوزيع | عامه بفتح هـ

- | | | | |
|--|---|--|-------------------------|
| | @dar_tg | | dar_tg1 |
| | dar.taibagreen123 | | dar.taiba |
| | 055 042 8992 | | 012 556 2986 |
| | yyy.01@hotmail.com | | dartaibagreen@gmail.com |
| | المملكة العربية السعودية - مكة المكرمة - العزيزية - خلف مسجد فقيه | | |



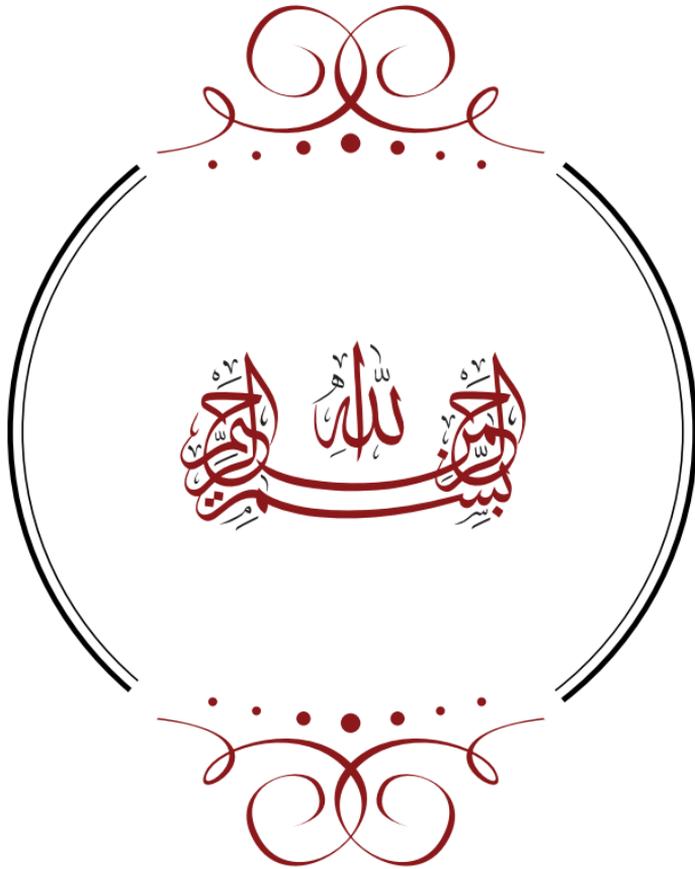
العلم النافع

تأليف

د. أحمد بن محمد رفيع

عضو هيئة التدريس بجامعة الملك عبدالعزيز







المقدمة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على النبي الأكرم،
أما بعد:

فهذه رسالة مختصرة، تحذوك يا طالب العلم إلى طلب العلم النافع، والعمل به، ونشره؛ فدين الإسلام دين علم وعمل ودعوة، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣]؛ فالمراتب أربع، (وباستكمالها يحصل للشخص غاية كماله، إحداها: معرفة الحق، الثانية: عمله به، الثالثة: تعليمه من لا يحسنه، الرابعة: صبره على تعلمه،





والعمل به، وتعليمه^(١)، رزقني الله وإياك العلم النافع
والعمل الصالح، ولا حول ولا قوة إلا بالله.



(١) مفتاح دار السعادة ١/ ١٥٢.





حقيقة العلم النافع



يا طالب العلم، وصية رسول الله ﷺ ، اعلم بأن العلم النافع الممدوح شرعاً هو ميراث الأنبياء، المستمد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، قال ابن تيمية رحمته: (جماع الخير أن يستعين بالله -سبحانه- في تلقي العلم الموروث عن النبي ﷺ فإنه هو الذي يستحق أن يسمى علماً، وما سواه إما أن يكون علماً فلا يكون نافعاً، وإما ألا يكون علماً وإن سمي به)^(١). وقد تعوذ النبي ﷺ من العلم الذي لا ينفع^(٢).



(١) مجموع الفتاوى ١٠/٦٦٤.

(٢) انظر: صحيح مسلم ٤/٢٠٨٨.





ونفى الله العلم عن نال زخارف العلوم الدنيوية،
 وغض عن الآخرة؛ قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا
 يَعْلَمُونَ﴾ (٦) يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ
 هُمْ غَافِلُونَ ﴿ [الروم: ٦-٧]. وفي ذلك يقول الغزالي رحمه الله:
 (من لا يعلم العلم النافع من العلم الضار؛ اشتغل بما
 أكب الناس عليه من العلوم المزخرفة، التي هي
 وسائلهم إلى الدنيا، وذلك هو مادة الجهل، ومنبع
 فساد العالم)^(١). فاستحضر نعمة الله وفضله عليك إذ
 خصّك به دونهم، وأكثر من شكره - سبحانه -:
 ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۗ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ
 عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

والعلم النافع هو ما يزيد في خوفك من الله
 تعالى، ويزيد في بصيرتك بعيوب نفسك، ويزيد في
 معرفتك بعبادة ربك، ويقلل من رغبتك في الدنيا،

(١) إحياء علوم الدين ٤/ ٣٦٩.





ويزيد في رغبتك في الآخرة، ويفتح بصيرتك بأفات أعمالك حتى تحترز منها، ويطلعك على مكاييد الشيطان وغروره^(١). وهو ليس (بكثرة الرواية، ولا بكثرة المقال، ولكنه نور يقذف في القلب، يفهم به العبد الحق، ويميز به بينه وبين الباطل)^(٢).

واعلم -رحمك الله- بأن غاية العلم النافع التعبد لله تعالى، وإرادة الآخرة، قال الشاطبي رحمه الله: (كل علم شرعي فطلب الشارع له إنما يكون من حيث هو وسيلة إلى التعبد به لله تعالى، لا من جهة أخرى، فإن ظهر فيه اعتبار جهة أخرى؛ فبالتبع والقصد الثاني، لا بالقصد الأول)^(٣).

(١) بداية الهداية ص ٣٨.

(٢) فضل علم السلف ٢١/٣.

(٣) الموافقات ١/٧٣.





وقد وقع الانحراف عن حقيقة العلم النافع مبكراً،
 فهذا حماد بن زيد يقول لأيوب السخيتاني رضي الله عنه: (العلم
 اليوم أكثر أو فيما تقدم؟ فقال: الكلام اليوم أكثر،
 والعلم فيما تقدم أكثر)^(١). ويزداد الخرق اتساعاً فيقول
 الغزالي رضي الله عنه: (كان اسم الفقه في العصر الأول مطلقاً
 على علم طريق الآخرة... وقد صار الآن مطلقاً على
 من لا يحيط من علوم الشرع بشيء، سوى رسوم
 جدلية في مسائل خلافية)^(٢). وهذا ابن الجوزي رضي الله عنه
 يقول: (رأيت أكثر العلماء مشغولين بصورة العلم دون
 فهم حقيقته ومقصوده)^(٣). حتى تطاول الزمن
 وانمحت آثار العلم النافع عن بعض طلبته، يقول
 الذهبي رضي الله عنه - بكل أسى وحزن -: (كذا كان - والله -

(١) الفوائد ١/١٥٢.

(٢) إحياء علوم الدين ١/٣٣.

(٣) صيد الخاطر ص ٤٤٩.





أهل الحديث، العلم والعبادة، واليوم فلا علم ولا عبادة^(١).

فإذا كان هذا الحال في زمانهم، فكيف في زماننا؟!!

ففتش في طريق تعلمك وتعليمك هل تسعى لهذا العلم النافع، الذي إن وجد كفى منه القليل للنجاة، أم في طريقك دخن وانحراف واعوجاج؟



(١) سير أعلام النبلاء ١٠/١٣٤.





العمل بالعلم



أوصيك يا طالب العلم أن تتمثل مقتضى العلم النافع الذي تحمله بين جنبيك؛ وإلا كان حجة عليك، فالعلم النافع بطبيعته يدعوك اضطراراً للعمل، قال الشاطبي رحمته الله: (العلم الذي هو العلم المعبر شرعاً - أعني الذي مدح الله ورسوله ﷺ أهله على الإطلاق - هو العلم الباعث على العمل)^(١).

وعلى هذا تربي الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم -، قال ابن مسعود رحمته الله: (كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات، لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن)^(٢)؛ و(كان فتى يختلف إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فيسألها وتحدثه، فجاءها ذات يوم يسألها، فقالت: يا بني هل

(١) الموافقات ١/ ٨٩.

(٢) جامع البيان ١/ ٧٤.





عملت بعد بما سمعت مني؟ فقال: لا والله يا أمه،
فقالت: يا بني فيما تستكثر من حجج الله علينا
وعليك^(١).

واعلم بأن العمل بالعلم سبب لاستحقاق الربانية،

قال تعالى: ﴿كُونُوا رِبِّئِنِّعَنَ﴾ [آل عمران: ٧٩]، قال
الزمخشري رحمته الله: (كفى به دليلا على خيبة سعي من
جهد نفسه وكّد روحه في جمع العلم، ثم لم يجعله
ذريعة إلى العمل)^(٢). وقال ابن القيم رحمته الله: (لا يوصف
العالم بكونه ربانيا حتى يكون عاملا بعلمه، معلما
له)^(٣). وقال صديق حسن خان رحمته الله: (هذه الآية أعظم
باعث لمن علم على أن يعمل)^(٤).

(١) اقتضاء العلم العمل ص ٦٠.

(٢) الكشف ١/ ٣٧٨.

(٣) مفتاح دار السعادة ١/ ٣٥٦.

(٤) فتح البيان ٢/ ٢٧٣.





فعليك أن تتمثل مقتضى العلم النافع بإصلاح القلب؛ فهو محل العلم ووعاؤه، قال تعالى: ﴿ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ ﴿١٣٦﴾ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٤]؛ والخشية، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨]؛ وإخبات القلب، قال تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الحج: ٥٤]؛ والزهد في الدنيا، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ [القصص: ٨٠]؛ والعبودية، قال تعالى: ﴿ أَمَنْ هُوَ قَنِيتُ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩]؛ واليقين، قال تعالى: ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [سبأ: ٦]؛ ورقة القلب





وخشوعه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْآذْقَانِ سُجَّدًا ۝١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلْآذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

واحذر مثل السوء الذي ضربه الله لمن علم ولم يعمل، قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝١٧٥ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ ۝﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦]، واحذر من مشابهة المغضوب عليهم، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥].

واعلم بأن ترك العمل بالعلم يشيع بين المتعلمين؛ فتعاهد نفسك وتفقدتها، قال ابن الجوزي رحمته الله: (تأملت





العلماء والمتعلمين، فرأيت القليل من المتعلمين عليه
أمانة النجابة؛ لأن أمانة النجابة طلب العلم للعمل
به^(١). وقال الذهبي رحمته الله: (أما اليوم فما بقي من العلوم
القليلة إلا القليل في أناس قليل، ما أقل من يعمل منهم
بذلك القليل)^(٢).

فإذا كان هذا الحال في زمانهم، فكيف في

زماننا؟!))



(١) صيد الخاطر ص ٧٠.

(٢) تذكرة الحفاظ ٢/ ١٠٣٢.





نشر العلم



يا طالب العلم، إذا تعلمت العلم النافع وجب عليك زكاته، ببثه ونشره، واستفراغ الوسع في ذلك، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ تَمَنَّاءَ قَلِيلًا فَيَسَّ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]. وقال ﷺ: «بلغوا عني ولو آية»^(١). قال ابن القيم ﷺ: (لا شيء أحب إلى رسول الله ﷺ من إيصاله الهدى إلى جميع الأمة، فالمبلغ عنه ساع في حصول محابه؛ فهو أقرب الناس منه، وأحبهم إليه،

(١) صحيح البخاري ٤/١٧٠.





وهو نائبه وخليفته في أمته^(١). وقال: (وتبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو)^(٢).

والناشر للعلم مقتفٍ سبيل النبي ﷺ قال تعالى:

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ

اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: ١٠٨]؛ وذلك أحسن القول، قال تعالى:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ ﴾ [فصلت: ٣٣]؛ وبه

ينال المرء الفلاح، قال تعالى: ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ

يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

﴿ [آل عمران: ١٠٤].

والقائمون بأمر الدين، علماء وعملاً ودعوة،

سيصطبغ بهم العلم، ويصوغ نفوسهم وعقولهم

وجوارحهم، قال الحسن البصري رضي الله عنه: (كان الرجل

(١) مفتاح دار السعادة ١/٢٠١.

(٢) جلاء الأفهام ص ٤٩٢.





يطلب العلم، فلا يلبث أن يرى ذلك في تخشعه، وزهده، ولسانه، وبصره^(١). ويصوّر لنا البزار رحمه الله هذا المعنى المتجسد في ابن تيمية رحمه الله فيقول: (كان العلم كأنه قد اختلط بلحمه ودمه وسائره، فإنه لم يكن له مستعارا، بل كان له شعارا ودثارا)^(٢).

وهم مثل الأرض الطيبة، التي انتفعت ونفع الله بها الناس: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكان منها نقية قبلت الماء؛ فأنبتت الكلاً والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء؛ فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان، لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً؛ فذلك مثل من فقه في دين



(١) سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٨٣.

(٢) الأعلام العلية ص ٧٤٣.





الله ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»^(١).

وقد فطن أهل العلم لشرف نشر العلم النافع «أو علم ينتفع به»^(٢)، فهذا ابن المبارك رحمته الله يقول: (لا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم)^(٣). ويقول ابن تيمية رحمته الله: (بيان العلم والدين، عند الاشتباه والالتباس على الناس، أفضل ما عبد الله به)^(٤).

وبلغ بهم التفاني فيه مبلغاً عظيماً، فهذا عمرو ابن العلاء يقول للأصمعي رحمته الله: (لو تها أن أفرغ ما في صدري من العلم في صدرك، لفعلت)^(٥). وقال

(١) صحيح البخاري ١/ ٢٧.

(٢) صحيح مسلم ٣/ ١٢٥٥.

(٣) سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٨٧.

(٤) الرد على السبكي ٢/ ٦٧٨.

(٥) سير أعلام النبلاء ٦/ ٤٠٨.





الشافعي رحمته الله: (يا ربيع، لو قدرت أن أطعمك العلم لأطعمتك إياه)^(١). وقال محمد بن سلام رحمته الله: (أنفقت في طلب العلم أربعين ألفاً، وأنفقت في نشره أربعين ألفاً، وليت ما أنفقته في طلبه كان في نشره)^(٢). وهذا محمد بن الحسن رحمته الله (كان كثير السهر، فقيل له: لم لا تنام؟ قال: كيف أنام وقد نامت عيون المسلمين تعويلاً علينا، وهم يقولون إذا وقع لنا أمر رفعناه إليه فيكشفه لنا، فإذا نمنا ففيه تضييع للدين؟)^(٣).

وهذا الشيخ / محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمته الله يجلس لطلبة العلم من بعد صلاة الفجر حتى بعد صلاة العشاء، وقد استمر على ذلك ٤١ سنة^(٤)، وكانت



- (١) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٤٧٣.
- (٢) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٣٠.
- (٣) صلاح الأمة ١/ ٢١٨.
- (٤) انظر: تراجم ستة من فقهاء العالم الإسلامي ص ٢٦٥.





دروس الشيخ ابن باديس رحمته الله (تستغرق معظم النهار، من بعد صلاة الفجر إلى ما بعد صلاة العشاء)^(١)، وكان يورث طلابه نشر العلم، ويرببهم ويعودهم على الإصلاح والدعوة إلى الله، وفي العطلة السنوية إذا أراد الطلاب أن يرجعوا إلى مناطقهم، يطلب منهم أن يقوموا بواجب الدعوة إلى الله، ونشر ما تعلموه، وعند استئناف الدراسة يطلب من كل واحد أن يقدم تقريراً عما أنجزه)^(٢).

واحذر كتمان العلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۖ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]، وتأمل كيف أن (ضرر كتمانهم تعدى إلى البهائم وغيرها، فلعنهم اللاعنون حتى البهائم، كما أن

(١) المؤتمر الخامس لجمعية علماء الجزائر ص ٢٠٨.

(٢) التجربة الدعوية لابن باديس ص ١٣٥.





معلم الخير يصلي عليه الله وملائكته، ويستغفر له كل شيء، حتى الحيتان في جوف البحر، والطير في جو السماء^(١).

فيا طالب العلم، كيف يحلو لك الرقاد والقيود والتخلف وإخوانك يعانون الجهل برهم ودينهم، قال الغزالي رحمه الله: (اعلم أن كل قاعد في بيته، أينما كان، فليس خاليا في هذا الزمان عن منكر من حيث التقاعد عن إرشاد الناس وتعليمهم، وحملهم على المعروف؛ فأكثر الناس جاهلون بالشرع)^(٢).

فإذا كان هذا الحال في زمانه، فكيف في زماننا؟! ولذا قال ابن باز رحمه الله: (عند غلبة الجهل - كحالنا - تكون الدعوة فرض عين على كل واحد، بحسب

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/١٨٧.

(٢) إحياء علوم الدين ٢/٣٤٢.





طاقته^(١). وإياك ثم إياك أن تكون من الذين ﴿كَرِهَ
 اللَّهُ أَنْبِعَانَّهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾
 [التوبة:٤٦]، فترك (أهل العلم لتبليغ الدين كترك أهل
 القتال للجهاد)^(٢).

وختاماً.. فلنصدق الله تعالى.. اللهم ارزقنا العلم
 النافع، والعمل الصالح، واستعملنا في خدمة دينك.

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا
 أَمْثَلَكُمْ﴾ [محمد:٣٨].



(١) الدعوة إلى الله وما ينبغي أن يتحلى به الدعاة ص ١٦.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٨ / ١٨٧.





فهرس المحتويات



الصفحة	المحتويات
٥.....	المقدمة
٧	حقيقة العلم النافع
١٢	العمل بالعلم
١٧	نشر العلم
٢٥	فهرس المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين

